**تفسير الآيات من [102- 113]**

**النهي عن الدفاع عن الخائنين، وفتح باب التوبة للعصاة**

بحث فى علم التفسير

إعداد / *ميريهان مجدي محمود*

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

***mirihan@mediu.ws***

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى النهي عن الدفاع عن الخائنين، وفتح باب التوبة للعصاة**

**الكلمات المفتاحية – الخائنين، التوبه، العصاه**

* **.المقدمة**

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة النهي عن الدفاع عن الخائنين، وفتح باب التوبة للعصاة**

* **.عنوان المقال**

**قال تعالى: {ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ} [النساء: 107، 108، 109].**

**وقول الله تعالى: {ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ} المجادلة: دفاع قوي قائم على الحجة الظاهرة، والبرهان الواضح بما بدا من دلائل الإدانة لمن كان قد ارتكب ما ارتكب من سرقة، ولكنّ هؤلاء الذين أحكموا هذا الأمر وزوروه غاية التزوير خانوا الأمانة، وكان من أمرهم أنّهم جاءوا لرسول الله  دون حياء من هذا الرسول الكريم  ودون خوف من الله  وظنّوا أنّهم قد وصلوا إلى تحقيق بغيتهم ومرادهم، والواقع أنّ هؤلاء يختانون أنفسهم، {ﭞ ﭟ} أي: يخونون أنفسهم غاية الخيانة، وكان عليهم أن يفيئوا إلى الله، وأن يستحوا من الله، وأن يأتوا إلى الله، وإلى رسوله تائبين منيبين، لكنّهم أهلكوا أنفسهم، وضيعوا أنفسهم حين عرضوها لمقت الله وغضبه.**

**وختامًا لهذه الآية قال تعالى: {ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ} وهؤلاء يدخلون في هذا الأمر دخولًا أوليًا، فهذه قضية عامة في أنّ الله  لا يحب من كان خوانًا أثيمًا، وهؤلاء قد خانوا أنفسهم المرة تلو المرة، وارتكبوا الإثم المرة تلو المرة، ومن هنا جاءت صيغة المبالغة في قوله: {ﭧ} وفي قوله: {ﭨ} لأنّ الذي تجرأ إلى هذا الحد حتى وصل وجلس بين يدي رسول الله  يزور الحقيقة، هذا الإنسان لمْ يصل إلى هذا الأمر هكذا فجأة، إنّما سلك طريقًا طويلًا خان فيه الله ورسوله، وخان دينه وأمانته، وما علم من الحق المرة تلو المرة عَبْرَ مراحل طويلة في حياته، وارتكب كثيرًا من الذنوب والآثام، فحين جاء إلى رسول الله  لمْ يعبأ بما صنع، وكلُّ إناء بما فيه ينضح، فهذه نفسية ملوثة، وقلب مريض تعود على الخيانة وتعود على الإثم، فجاء هكذا يقول لرسول الله  ويقسم بين يديه، ويصنع قصة مزورة خطيرة يرمي بها واحدًا من أصحاب رسول الله  أو يرمي بها واحدًا من الناس مسلمًا أو غير مسلم، لكنّ العدل الإسلامي يشمل جميع الناس لا فرق بين مسلم وكافر.**

**جهل المنافقين، وتهديدٌ لهم:**

**وبيانًا لسوء مسلك القوم قال تعالى: {ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ} وهذه العبارة تبين حال هؤلاء القوم، وأنّهم أصحاب قلوب عفنة محجوبة عن نور الحق لا ترى وجه الحقيقة ناصعًا، ولا تُدرك بحسها أنّ ربَّ العزة والجلال المطلع على السرائر العليم بالبواطن الذي يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور يعلم حقيقتهم، وينظر إلى قلوبهم، ويعلم ما يسرون وما يعلنون، وأنّه ما من حركة، ولا سكون، ولا نظرة، ولا طرفة عين، إلّا وهو يعلمها.**

**وهم إنّما فعلوا ذلك خوفًا من أن يلحق بهم ضرر، أو أن يكونوا في منزلة اجتماعية لا تليق بهم، وطلبًا لعرض من أعراض الدنيا ومتاع من متاعها الرخيص، ووجدوا أنّ الوسيلة لذلك أن يستخفوا بما فعلوا من أفعال سيئة عن أعين الناس؛ حتى لا ينظر إليهم الناس نظرة ازدراء واحتقار تؤدي إلى حرمانهم من بعض مكاسب في دنياهم، أو تؤدي إلى عدم وصول حقٍّ لهم، أو ربّما وصول ما يدعون من باطل لهم، فهذا هو بعض الأسباب التي أدت إلى أن يستخفوا بعملهم القبيح عن الناس.**

**{ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ} لأنّه لا يمكن الاستخفاء من الله  لأنّه  كما ذكرنا المطلع على السرائر العليم بالبواطن.**

**ولعلّنا نلاحظ في قوله: {ﭪ} هنا، وهناك: {ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ} أنّ التعبير بالفعل المضارع يعني أنّ هذا سلوك لهؤلاء المنافقين، أو لهؤلاء الضعاف في دينهم وفي إيمانهم، فهذا ديدنهم، وهذا حالهم، وهذا شأنهم.**

**و نلاحظ أيضًا قول الله تعالى: {ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ} ذكر لفظ الجلالة هنا فيه ملامة لهم، وفيه تأنيب لهم؛ لأنّ الله  بالتعبير هكذا بلفظ الجلالة: {ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ} وكان الواجب عليهم أن يوقروا ربَّهم، وأن يخافوا عقابه، وأن يطلبوا ثوابه، وأن يراقبوه فهو الأولى بالمراقبة، وهو الأولى بأن يخاف الناس منه، ولكنّهم لم يفعلوا، وزيادة في بيان ما وصلوا إليه من سوء وتخويفًا لهم يقول: {ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ} وهو معهم بعلمه، واطلاعه، ونظره إليهم في حال ما كانوا عليه من تدبير المؤامرات، وتزوير الحقائق فهم فعلوا فعلًا لا يرضى عنه المولى .**

**وفي قوله: {ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ} نلمح قوله: {ﭳ ﭴ}، أي: يفعلون هذا ليلًا، وهذا ليس بشرط في تدبير المؤامرات والكيد للآخرين، إنّما لأنّ هؤلاء وصل بهم الجبن والخوف من الناس أنّهم إذا أرادوا أن يدبروا أمرًا، أو أن يقوموا بمؤامرة ضد الآخرين وضد أهل الإسلام يستخفون من الناس استخفاءً كثيرًا واستخفاءً عظيمًا، فهم يلجئون إلى بيوتهم يغلقون أبوابهم في جوف الليل حيث لا يراهم أحد، وحيث لا يسمع بهم أحد، ليتشاوروا فيما بينهم ماذا يصنعون من أجل الإضرار بالآخرين، وهذا شأن الجبناء من الناس وشأن الخبثاء.**

**وفي قوله: {ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ} دليل على أن القول له أهميته ومكانته، وأنّ الكلمة لها خطرها، فهي الطريق التي به تنسج المؤامرات وغير المؤامرات، وبه وبهذه الكلمة يمكن للإنسان أن يصنع ما يصنع، فالله  معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول، وما لا يرضى أيضًا من الفعل، فالقول هو مقدمة الفعل، ولذلك كان الختام: {ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ} ليس بما يقولون فقط محيطًا؛ بل {ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ} فمقدمة هذا العمل كانت أقوالًا قالوها، وجلسوا فيما بينهم، وقد أغلقوا أبوابهم على أنفسهم، وأخذوا يحيكون المؤامرات، وينسجون خيوط الغدر والخديعة للآخرين، فكان هذا من الأعمال السيئة التي قامت على أقوال سيئة. {ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ} أي: لا تخفى عليه خافية لهؤلاء إذ لا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء: {ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ}.**

**ثُمَّ التفت القرآن إلى من جادلوا عن هؤلاء لما بدا من ظواهرهم من أنّهم غير مذنبين فقال: {ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ}:**

**{ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ} هذا الجدال هو الدفاع القوي الذي يقوم على تبرئة ساحة هؤلاء لما قدموه من الأدلة القوية على براءتهم، فهب أنّ هذا الجدال وصل إلى غايته، وأدى إلى تبرئة هؤلاء مما نسب إليهم، هل معنى ذلك أنّهم فازوا ونجوا وكانوا من الشرفاء الأبرياء؟**

**{ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ} خطاب لأصحاب رسول الله  وهذا الخطاب لجماعة المسلمين في عهد رسول الله  من جاءوا يدافعون عن هؤلاء تبرئة لساحتهم، فهل هذا الذي حدث، وكاد يؤدي إلى تبرئتهم حقًّا وإلصاق ما فعلوا بآخرين لا ذنب لهم، هل هذا معناه أنّهم فازوا عند الله ؟ ألم يؤمن هؤلاء بالله واليوم الآخر؟ والذي يؤمن بالله واليوم الآخر عليه أن يدرك أنّه لا بد أن يقف بين يدي الله؛ ليحاسبه عمّا قدم، وعمّا أخر، وهناك في موقف الحساب، وفي موقف القصاص يُعرض هؤلاء، ويأتي هؤلاء الذين ظلموا ليتعلقوا بأعناق من ظلموهم يطلبون بين يدي الله من هؤلاء الظالمين حقوقهم، فمن هذا الذي سيدافع عنهم؟ من سيجادل الله  في هذا الموقف ليبرئهم، والأمر بين يدي الله واضح لا اشتباه فيه، ولا يمكن لهؤلاء أن يزورا فيه.**

**{ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ} من هذا الذي يكون وكيلًا عنهم يدفع عنهم عذاب الله ؟ لا أحد؛ فهؤلاء سوف ينالون جزاءهم كاملًا عند الله  من العذاب لما فعلوه في دنياهم، وكان عليهم أن يدركوا هذا قبل فوات الأوان.**

**فتح باب التوبة للعصاة:**

**والله  الإله الرحيم الكريم العظيم يفتح باب الرجاء والأمل للتائبين من عباده، فقال تعالى:**

**{ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ} أي: يطلب من الله  أن يغفر له ذنبه {ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ} وهذا باب من أبواب الرجاء فتحه الله لهذه الأمة.**

**وعن علي -كرم الله وجه- قال: كنت إذا سمعت من رسول الله  شيئًا نفعني الله فيه بما شاء أن ينفعني منه، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر قال: قال رسول الله : «ما من مسلم يذنب ذنبًا ثُمَّ يصلي ركعتين ثُمَّ يستغفر الله لذلك الذنب إلا غفر له. وقرأ هاتين الآيتين: {ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ} الآية {ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ} الآية».**

**بقي لنا في الآية أن نتوقف عند كلمة: {ﮖ} وعند: {ﮗ ﮘ ﮙ} فما المراد بالسوء؟ وما المراد بما يظلم الإنسان به نفسه؟ يقول العلامة الألوسي: {ﮔ ﮕ ﮖ} أي: شيئًا يسوء به غيره كما فعل بَشِيرٌ برفاعة، أو طُعْمَةُ باليهودي.**

**{ﮗ ﮘ ﮙ} بما يختص به كالإنكار، وقيل السوء ما دون الشرك والظلم الشرك، وقيل: السوء: الصغيرة، والظلم: الكبيرة، إلى غير ذلك من الأقوال.**

**المراجع والمصادر**

1. **ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، (تفسير القرآن العظيم) دار الراية للنشر والتوزيع، 1993م.**
2. **الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني، (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) دار الكتاب العربي، 1999م.**
3. **الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) بيروت، دار الفكر، 1995م.**
4. [**أبو السعود محمد بن العمادي الحنفي**](http://www.adabwafan.com/browse/entity.asp?id=13149)**، (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، دار الفكر، 2001م**
5. **الأندلسي، أبو حيان الأندلسي، (البحر المحيط) دار الكتب العلمية، 2001م.**
6. **أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري، (فتح البيان في مقاصد القرآن) راجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، إدارة احياء التراث الإسلامي، 1989م**
7. **أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، (الكشاف) دار الكتب العلمية، 2003م**
8. **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (جامع البيان في تأويل القرآن) تفسير الطبري، دار الكتب العلمية، 1997م**
9. **الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي, (روح المعاني) دار الكتب العلمية، 2001م**
10. **الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى الجزائري، (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) مكتبة العلوم والحكم، 1994م**
11. **السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) دار ابن الجوزي، 1994م**
12. **الغرناطي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي الغرناطي، (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لبنان، دار الكتب العلمية، 1993م.**